



مجيء مختلف

الأدباء وكبرياء الكلمة

الانطلاقة المسلحة للثورة الفلسطينية ، فأبلغني الدكتور ان ادبا فلسطينيا شابا سوف يرافق ولادة ونمو الكفاح المسلح وتنشأ لهذا الأدب ان يلعب دورا طليعيا . ولا ادري ان كان الأدب الفلسطيني الذي ظهر بعد ذلك بمستوى توقعات الدكتور ام انه دون ذلك .

الا ان الحقيقة التي لا خلاف حولها ، هي ان الأدب كانت الساحة الواسعة تحركه الادب الفلسطيني ، وان الكلمة الفلسطينية عبأت مساحة كبيرة من مجلة الأدب، واستطاعت الاسماء الفلسطينية الشابة في مجال القصة والشعر ان تصل الى القراء العرب عبر الأدب ، ومنهم على سبيل أمثال احمد دحبور ، ومحمد القيسي ورشاد ابو شاور ومحمود الريماوي وكان هذه اسطور ..

* الصديق الكاتب والمناضل نزيه ابو نضال الذي قطع دراسته الجامعية والتحق بقوات العاصفة قبل العام ١٩٦٧ ، كان في العام ١٩٦٩ واحدا من قادة معسكر ٩٩ للكوادر في الاردن .

وفي نهاية كل دورة كان على الشباب ان يختاروا اسماءهم الحركية ، وكان ابو نضال نزيه يتدخل احيانا ، ويطلق عليهم اسماء من يحب من الادباء العرب .

وحدث ان سمى احدهم اسما حركيا لكاتب يحبه ويحترمه ويحب رواياته ، هو الدكتور سهيل ادريس .

وهكذا حمل ذلك الفدائي اسم سهيل ادريس ، وتخرج من المعسكر ، وانتقل الى القواعد ، وشارك في عمليات عسكرية داخل الوطن المحتل وخارجه .

عندما امسكت بقلمى ، لاكتب عن ذكرياتي مع الأدب وصاحب الأدب ، قفزت الى ذهني عشرات الاحداث والمواقف . لقد كانت الأدب المدرسة التي تعلمنا فيها ، ونهلنا منها ، وفتحت لنا صفحاتها واحتضنت كتاباتنا المبكرة .

التقيت بالدكتور سهيل في مكتبة المتواضع في بناية درويش ، والتقيت به في منزله ، والتقيت به في اكثر من مؤتمرا ادبي ، وفي كل المرات كنت اجد نفسي امام

رمز من رموز ثقافتنا الوطنية العربية ، وكانت دار الاداب على الدوام قلعة لكل الكتاب الفرسان الذين يملكون كلمة وموقفا شجاعا .

انني لن اكتب كل ذكرياتي .. ستأوقف فقط عند محطات صغيرة ..

* التقيت بالدكتور سهيل ادريس لأول مرة عام ٦٨ بعد زيارته لقواعدنا في اغوار الاردن . التقيت به في بيروت ، وكنت قد نشرت عددا من القصص القصيرة في الأدب .

تحدثنا يوما عن قصته القصيرة (شيخ الكرامة) التي كتبها بعد زيارته لبلدة الكرامة بالسلطة .. الاسطورة . وكان قد سجل بها تجربة معاشة .

كما تحدثنا ايضا عن الادب الفلسطيني الشاب الذي بدأ يظهر على صفحات الأدب عقب هزيمة حزيران ، وبعد

رسالة أوستاور

بريد عشقنا

لوطننا وفقرائه

الآن ، في الذكرى الخامسة والعشرين ، امد يدي لاشد على يد الدكتور سهيل ادريس ، واقول له ما قاله السياب بعد غيبة عن الآداب : « ان جيلنا يعود الى الآداب ، كما يعود الولد الضال » .

ومع ذلك ، فنحن لم نصل . لقد فتحت لنا الآداب افاقا فاقتمناها ، وردنا مجالاتها .

الآداب بالنسبة لكل واحد من جيلي - واسمح لنفسي بهذه اليقينية - هي الحلم ، والتحدي .

الحلم بالنشر ، وان يرى الكاتب اسمه ، ونتاجه ، بين اسماء عمالقة الادب العربي المعاصر ، الذين كانت الآداب ، وما زالت ، وطنهم .

والتحدي لان الحلم بالنشر على صفحات الآداب يعتبر طموحا . وهذا الطموح يحتاج ، غالبا ، الى اجنحة قوية . صحيح ان بعض الطيور الهزيلة تتسرب ، ولكن الصحيح ان (قطار) الآداب اسقط كل ما هو هزيل ، وتجاوز كل ما هو ركيك . كثير من الادباء ينشرون في الآداب نتاجا غير نتاجهم في المجلات والصحف الادبية الاخرى . وهذا يدل على مسألة (المستوى) بالنسبة للنشر في الآداب .

مثل الكثيرين من ابناء جيلي ، طالما وقفت امام الآداب ، وتحيلت اسمي على غلافها ، وقصصي على صفحاتها . وذات يوم بلغت بي الجراة حد ارسال قصة للآداب . ولكني ، وانا في مركز البريد بدمشق ، شعرت وكان يدا توشك ان تمسك بي ، وكان سؤالا جارحا مهيبا يحيط بي : « يا فتى ، كيف تتناول وترسل (خربشاتك) للآداب ؟ » لم تنشر قصتي ، تلك ، عام ١٩٦٤ . ولكنني ما نئست . قلت علي ان اتقدم اكثر ، واطور ادواتي اكثر . في مطلع عام ١٩٦٥ نشرت لأول مرة ، وكان ذلك

وفي احدي المعارك استشهد سهيل ادريس الفدائي ، ونعمته الصحف والمجلات ...

وقد قابلت بعد ذلك بفترة وجيزة الدكتور سهيل ادريس اطل الله عمره ، فسألني بدهشة وحزن عن الفدائي الشهيد سهيل ادريس .

لقد حدث التباس كبير ، فان عددا من اصدقاء الدكتور واقاربه في الخارج بعثوا ببرقيات تعزية الى اسرته فلنا منهم ان المعني هو الدكتور سهيل ادريس نفسه ، كان الدكتور يسأل بالتفصيل عن قصة ذلك الفدائي الشهيد ، ووعده ان اجمع له المعلومات المطلوبة .

ولم اتمكن من متابعة الموضوع ، فقد هجمت علينا الاحداث والتحديات ، ومرت سنوات صعبة وقاسية نسيت في خضمها الموضوع .

وانني لاسأل الآن ، وانا انذكر ذلك واكتب شيئا عن ذكرياتي مع الآداب وصاحبها : هل ان ذلك الفدائي الشهيد سيكون احد ابطال رواية (زمن الهزيمة والنصر) التي ما زلنا ننتظر من الدكتور سهيل ادريس انجازها ؟

* عام ١٩٧٢ كما اعتقد ، كنت احضر امسية شعرية في بيروت اقامها احد النوادي الثقافية لعدد من الشعراء الفلسطينيين .

وبعد الامسية جلسنا مع المشرفين على النادي نحتسي الشاي ، وكان الدكتور سهيل ادريس معنا .

اثناء الحديث قدمني احد الاخوة الشعراء الى احد المسؤولين عن الشؤون الثقافية في النادي ، واقترح عليه اقامة امسية قصصية لي ولاحد الزملاء .

فسألني ذلك المسؤول الثقافي :

- اين تكتب . . لم اسمع باسمك من قبل ؟ وعند ذلك ، تكلم الدكتور سهيل ادريس ، وقال بغضب : كيف لم تسمع باسمه ؟ لم تقرا له بالآداب يا استاذ ؟

لم اشعر لحظتها ان الدكتور يرد عني اهانة فقط ، احسست انه يدافع عن كبرياء الكلمة وشرفها وطهرها .

* بعد توقف القتال في لبنان زرت الدكتور سهيل في منزله ، كان يحمل في راسه هموم المرحلة .

وتحدثنا في ذلك اللقاء عن كيفية صدور الآداب في ظل قوانين الرقابة ، وهي التي ظلت لربع قرن منبرا حرا وشجاعا ، وبابا مفتوحا امام كل الادباء والمفكرين الذين يفلق القمع الابواب في وجوههم .

لقد كتب يومها افتتاحية يودع بها الحرية ، وكان موقنا بانها لن ترى النور .

وعندما خرجت ، كانت عيناه تقولان : لقد بدأت معركة الديمقراطية وعلينا ان نخوضها بشجاعة .

حقا لقد بدأت معركة الديمقراطية وعلينا ان نخوضها بشجاعة من المحيط الى الخليج .